جمال يعجبك.. ولا يعجب غيرك!

سلوى مطاوع

سألوا الشاعر الفرنسي «بودلير» ماهو الجمال؟ فقال: «الجمال هو الجمال». ولا أحد يعرف بالضبط إن كانت عبارة الشاعر الفرنسي قد كشفت الغموض عن قضية النسبية في الجمال. أو أضافت إليها المزيد من الغموض. فليس هناك أسهل من أن نقول إن الجمال مسألة نسبية. ولكن معنى هذا أن عيون صوفيا لورين وسيقان مارلين مونرو وقوام كلوديا كاردينالي أشياء يراها الكثيرون لاتمت للجمال بصلة.

مارلين واصفه

صوفيا لورين التي قال مارلون براندو عنها: إن فينوس لا يمكن أن تجمع كل هذه الفتنة في امرأة واحدة.. لم تعد صوفيا.. هي النموذج الذي يحلم الرجل الأفريقي.

ويبدو أن النظرية التي تقول إن الجمال مقاييسه المعروفة لا بد أن يكون أوروبيا.. لم تعد بالنظرية الصحيحة فقد حدث في عام ١٩٧٧ أن اجتمع ١١ قاضيا في قاعة رويال البرت هول بلندن ليختاروا أجمل الجميلات من بين عشر متسابقات من جميع أنحاء العالم.. فاختاروا لعرش الجمال العالمي ملكة سوداء جدا! اسمها سيندي بريكشير من جامايكا.. إن الشيء الحقيق الذي يجب أن نستخلصه من كل هذا الكلام أن مقاييس الجمال مسألة نسبية فعلا.. إن سجلات مسابقات الجمال نفسها تؤكد هذه الحقيقة.. ففي عام ١٩٧٢ بعد اختيار ملكة جمال العالم نشرت إحدى الصحف البريطانية سرا غريبا ذيع لأول مرة بعد انتهاء المسابقة.. أما السر فهو أن ملكة جمال هونج كونج احدى الجميلات اللاتي كن مرشحات للفوز باللقب العالمي ليست إلا رجلا!! وياكيفما هذا نشرت الصحيفة شهادة ميلاد ملكة جمال هونج كونج أو ملكة جمالها التي جاء فيها فعلا أنها رجل.. التي يستطيع بعد هذا أن يقول أن مقاييس الجمال مسألة نسبية جدا.

أفضل الطرق للمرأة الممتلئة

قضية أخرى تؤكد أن مقاييس الجمال مسألة نسبية والقضية هي المحافظة على الرشاقة هل هي في المحافظة على المرأة النحيلة؟ هل هي في المحافظة على المرأة النسبية؟ في الماضي كانت مقاييس الجمال تعتبر المرأة النسبية هي الأجمل والأصل والأكثر فتنة.. أما فعلا أصبحت المحافظة هي الموضة.. حتى وصل الأمر إلى اختيار «أودري هيبورن» المثالة النحيلة بشدة خالية التي تعتبر كل مقاييس أنوثتها.. نموذجا عالميا للجمال!.. ومن الغريب أن يعرف أحد على عكس المفهوم السائد من أن المرأة النسبية في مصر كانت هي المقياس الصحيح للجمال.. فقد أنه قد حدثت قبل أن تحدث في المحافظة موضة.. فقد نشرت مجلة آخر ساعة في عام ١٩٣٥ خبرا يقول.. وقد حدث أن اكتشفت السيدة أمينة الشريف.. واختفاء أن الجمال كقضية مجردة مسألة اختلفت فيها وجهات النظر اختلافا لا يمكن تجاوزه.. فهل الجمال خطة قائمة في الشيء نفسه.. أو أنه مستمد من المعاني المتصلة به.. أو أن الجمال عبارة عن أحاسيسنا التي يحكمها عقلية؟ أفلاطون يرى أن الشيء جميل مادام يتمتع بخصائص معينة.. سواء أحسسنا نحن بهذا الجمال أو لم نحس به.. أما فرويد فإنه يرى أن الجمال ثانوي يتحقق الرغبة.. فظاهرة الجمال في رأيه.. لا وجود لها إلا في شعورنا نحن ويتوقف تمكننا على الشيء بأنه جميل على حالتنا النفسية.. وإذا كان الاختلاف حول مسألة الجمال نفسه قد وصل إلى هذا الحد.. فلابد أن مقاييس الجمال مسألة لا يمكن الاتفاق عليها.. فالذي يراه البعض جميلا يؤكد البعض الآخر أنه قبيح.. والعيون الزرقاء في أوروبا.. عيوب زرقاء في الشرق العربي!.. وأنف المرأة الأفطس في أفريقيا.. مثير الفتح في أمريكا.. إن البعض يؤكد أن مقاييس الجمال مقاييس عالمية لا تأثر بالموقع الجغرافي أو بالحضارة أو الثقافة السائدة في العالم.. فلماذا كان الجمال مقاييسه المعروفة لابد أن يكون أوروبيا في الوقت الحاضر فنحن لا نتصور امرأة جميلة رقيقة القوام.. فالمرأة الجميلة حسب مقاييس العالم الذي تسوده الثقافة الأوروبية لابد أن يكون أبيض البشرة.. ذهبي الشعر.. كما يقول المثل.

مارلين مونرو

العجيب.. كما أن لا يتصور أن تكون ملكة جمال العالم ذات أرداف بارزة أو ثديين ممتلئين.

وحتى لو لم نكن كذلك فهل يمكن أن تكون ملكة جمال العالم سوداء.. حتى لو وقفت فيها كل مقاييس الجمال التي يرى الكثيرون أنها عالمية؟

لقد نشرت صحيفة الديلي اكسبريس التي تصدر في ليفربول مقالا في عام ١٩٦٩ للمرأة الشقراء الشمالية تطالب فيه بمقاطعة مسابقات ملكات الجمال.. لأن الأسبوعيات والأوبريتات لا تعترف إلا بالمرأة الشقراء.. وأن الجمال في نظرها هو ذلك الخطوط الجامدة التي تميز بها المرأة الأوروبية في أصبح في نظرها هو الاستدارة.. استدارة الأنف والفم.. والأرداف أيضا! وهكذا لم يعد أنف سوزان هيوارث أو الفم البديع الذي يعتبر نموذجا فاتنا ملموسا لتكوين المرأة وعناصرها.. أجمل أنف عند الرجل الأفريقي.. ولا أحد

يعتبر ملكات الجمال في مصر في ذلك الوقت - إذا علمت أن وزنها قد زاد من ٤٩ كيلو جراما إلى ٥٥ كيلو جراما فقيرات عمل رغم طبقة الأصول الرفيعة . والأغرب أنه في ذلك الوقت كانت ترشح فتاة مصرية اسمها شارلوت واصف لقوامها المثالي . هذه الفتاة سافرت إلى بروكسل عام ١٩٣٥ للاشتراك في مسابقة ملكات جمال العالم وعادت من المسابقة تحمل لقب ملكة جمال العالم ! . ومن الغريب أيضا وعلى عكس مفهوم السائد الذي يؤكد أن المرأة الحقيقة هي المتزوج الجمال في أوروبا تجد أن الرجل في أوروبا أيام زمان - كان يعتبر المرأة السمينة هي المرأة الجميلة . أن تمثال فينوس الذي يعتبر من أكمل مقاييس الجمال النسائي . أكبر دليل على ذلك . فهذا التمثال يؤكد أن الرجل في ذلك الوقت كانوا يميلون إلى جسم المرأة الممتلئة . لأن الامتلاء يدل على الصحة والعافية . ولهذا كان الصدر الكبير والأرداف العريضة مسألة مظهرية . والحقيقة أن المرأة الممتلئة ظلت مثالا للجمال منذ آلاف السنين سواء في الغرب أو في الشرق . فالشعر العربي على سبيل الأوصاف المذكرة والخدود المتوهجة ! . ويبدو أن الرجل في ذلك الوقت لم يعتبر نظرته إلى امتلاء المرأة إلا بعد استشاره . فاليوم كان العرب حاولوا يميلون في الصحراء كانت المرأة الممتلئة تعاني التعبير عن الرفاهية التي يطمح الرجل إليها والتي يعودها عنصرا للحماية يتكئ عليها أيام الشدائد . وإذا رجعنا إلى أيام الفتح الأندلسي . عندما أصبح الرجل العربي يعيش في الرفاهية والترف تجده قد مال إلى الفتاة المتاس وإلى قصر اليدين . فبعد هذا الاستقرار لم يعد في حاجة إلى الحماية ولم تعد نظرته إلى الجمال محطة بكتلة اللحم التي تحملها المرأة بل بروحيتها ! ! نفس الاتجاه إلى المرأة الممتلئة تجده في اليابان . فمنذ ٤ آلاف سنة خطرت على رأس امبراطور باليابان أن يرى معشوقته وهي تدرج أمامه . فهداه خياله إلى أن يصنع لها حذاء من الخشب له كعب ! !

تمثال فينوس

أن الذي يجب أن نعرفه أن الرجل الذي كان يفضل المرأة السمينة أو الممتلئة قد تعرض بعد الحرب العالمية الثانية لعملية غسيل مخ أصبح بعدها يفضل المرأة النحيلة . ومن ذلك الوقت بدأت المرأة العربية تحركها الإعلانات التي قادها حواء الجمال وغيرت نظرتها إلى مقاييس الجمال . وأصبحت كل فتاة تتمنى أن تكون في مثل نحافة أودري هيبورن أو توبي عارضة الأزياء البريطانية الشهيرة . ولم يمل ذلك أصبحت المرأة تمتنع عن الطعام لمدة يوم أو يومين وتشرب الخل للقضاء على السمنة . إن النساء بصفة عامة عشن فترة إرهاب غذائي بعد الحرب العالمية الثانية ووقعن تحت استعمار الشدات وآلات التخسيس ومجلات الموضة . ولكن حواء الجمال في أوروبا يقولون الآن شيئا مختلفا فهم يقولون للمرأة في كل مكان . كل مالذ لك وطاب فلن تصبح النحافة هي الموضة . لأن مقياس جمال المرأة مقياس غير ثابت . بل يتغير مع العصر والبيئة !

ويبدو أن مسألة السمنة في الجمال قد جعلت حواء الجمال يفكرون في حل ليخرجهم من مشكلة أي النساء أحمل ؟ فبعضهم قد اهتدوا إلى هولييود على تقسيم الجمال إلى أنواع . فهناك الجمال الأنثوي الذي يثير الرجل بالأنوثة المكتملة الناضجة وأختاروا لهذا النوع : لوريين باكال . نموذجا له . وهناك جمال فينوس تمثاليه التي تعتبر مثلا أعلى لكل فتاة واختاروا له لأناديز .

وهناك الجمال الغامض وهو ذلك النوع الذي يتميز بالغموض والرقة وغالبا مايتطلع بالحزن . ولقد لايسحر هذا الجمال من أول نظرة ولكنه حين يم مهمته في بطء وإتزان يصبح أروع أنواع الجمال . ولقد اختاروا : الجريد برجمان . نموذجا لهذا النوع . وهناك الجمال الصارخ الذي إذا لمحته لمحس أن هناك نيرانا تندلع من كل ذرة في جسد صاحبته مثل ريتا هيوارث . وهناك الجمال المتسكع الذي إذا رأيته لمحس انك تتزلج في سيارة مرحا وطربا واختيرت : دورول لأمور . مثالا له . ومع كل هذا فهما اختلفت على تقسيم الجمال إلى أنواع فإن كل شعب له مقاييس التي يحب بها ولايرضى عنها بديلا . فالأخضر

ريتا هيوارث

لاناديز

بعضهم البشرة السوداء . والأسنان يسحرهم لمعان الأسود الفاحم . والخدود تأسرهم العيون الناعسة . والمصريون يحبهم اللون الحنطي . والأوروبيون يفضلون البشرة الرقيقة . والصينيون واليابانيون يحبهم الأقدام الصغيرة للغاية !

عيون زرقاء ..
أم عيون زرقاء

ومن أغرب الغرب المتعلقة بالجمال الذي ظهر في كثير من المجتمعات هذا أن الجمال عندهم كان أيضا مسألة نسبية اختلفوا في كثير من الأحيان عليها فنجد عبد الملك بن مروان يقول لزينة بعد أن رآها لأول مرة . ماذا رأى فيك : جميل . حتى هام بك إلى عدد الدرجة وأنت حمقاء . دقيقة السالفين . فردت عليه . لقد رأى جميلة عيبه لاعيبك أنت يا أمير المؤمنين . وكانت العيون مسألة مهمة جدا في نظر الرجل العربي كأهم مقياس للجمال فنجد جريرا يعتبر أن للعيون الحوراء حيالا يقول . ان العيون التي في طرفها حور . قتلنا ثم لم يحين قتلانا . وأحد صعاليك العصر يقول في وصف عيون إحدى الجميلات . ولاعيب فيها غير زرقة فيها ! ! أي أن العرب كانوا لايحبون العيون الزرقاء . لأن ذلك كان يذكرهم بالأعداء ! ! ولكنهم بعد اختلطهم بالأتراك والجراكسة والروم أحبوا العيون التي تشبه زرقة السماء وزرقة البحر .

وحتى أيضا عيون المرأة البيضاء فنجد الكميت ابن زيد يقول . : طربت وماشوقا الى البيض أطرب . ولكن ذلك أيضا لم يمنع أن يحبوا بالمرأة السوداء . فنجد بشارا يقول في جارية سوداء أحبها وعشقها قائلا . وعاتبة سوداء رقاء كاظاء في طيب وفي لين . وآخر يقول . ومن يك معجبا ببنات كسرى . فإني معجب ببنات حام .

وإذا كانت مقاييس الجمال تختلف من عصر إلى آخر ومن مكان إلى مكان . فهي على أية حال تدور في منطقة إلى حد ما . فلقد تكون البشرة السوداء نموذجا رفيعا للجمال في الغرب . ولكن لايمنع ذلك أن تظل هذه البشرة إعجاب الشرقيين . نفس الشيء بالنسبة للون الحنطي الذي يعد مقياسا للجمال الشرقي الذي يعجب الغربيين أيضا . ولكن هناك أماكن لايرون فيها مقاييس الجمال بعيدة عن أي تصور . في افريقيا مثلا . هناك بعض القبائل لاتعتبر المرأة جميلة إلا اذا كانت أذناها طويلتين ومفلطحتين . اما طويلتان أي أي حد فإن أن تصلا إلى كتفيها ! ! أنهم يحملون منذ الصغر على مط أذن الفتاة حتى تصل إلى هذا الطول . فإذا أخرى مط الشفة السفلى للبنات الصغيرات لأن مقاييس الجمال عندهم تعتبر المرأة ذات الشفة المفلطحة لأسفل امرأة فاتنة ! وفي تونس عربيا لاتعتبر المرأة جميلة إلا إذا كان وجهها مليئا بالخطوط العميقة التي تصل إلى ٢٠ خطا كلها من زاوية الفم حتى أعلى الخد وحواف ؟ خطوط في الجبهة . إن هذه الخطوط عبارة عن جروح تحدثها يد حواء التجميل في هذه القبائل بالطبقة الصخرية ! أما بالنسبة لشعر المرأة فعدم وجوده أحيانا يعتبر علامة مبرزة من علامات الجمال . وأحيانا أخرى تقوم المرأة بإضافة شعرها إلى عدة كيلو من الضفائر التي تصل في بعض الأحيان إلى ٤٠٠ أو ٥٠٠ قيراط !

وفي بعض المناطق يعتبرون لا تعتبر المرأة جميلة إلا إذا كانت موشومة وبعض الوشم تقريبا وجهها كله وسكانها وذراعيها وصدرها أيضا ! وفي استراليا تلجأ بعض القبائل إلى تثبيت عظمة بطول الأصبع في أنف المرأة بعد ثقبه طبعا مع أنها تضايق كثيرا في عملية التنفس . ولكن أية امرأة لابد أن تتحمل هذا أو تظل عانسا طوال عمرها . وحكاية ثقب الأنف هذه مسألة شائعة . في سومطرة تثقب النساء أسنانهن الأمامية ويغرسن فيها دبابيس ذات حبات صغراء من الذهب . كعلامة من علامات الجمال . وبعض قبائل الاسكيمو تثقب النساء فيها حدودهن لكي تعلق في كل حد قطعة من الحلي .

إن كل هذا قد يبدو بعيدا عن أي ذوق . وأي مقياس للجمال . بل انه نوع من القبح أكثر منه جمالا . ولكن الذي نراه نحن قبيحا . هو منتهى الجمال والكمال عندهم !

وبعد . فمهما اختلفت مقاييس الجمال فإن العنصر البشري كله قد اتفق على أن المرأة كانت ومازالت هي النموذج الحي للجمال . ولذلك فليس غريبا أن نرى لكل فنان أمرأة ألهمته وأطلقت طاقاته . فيخرج للعالم تمثالا مجسدا لجمال المرأة أو صورة معبرة عنها . وهكذا نجد المرأة التي اختار العالم كله في مقاييس جمالها . مقياسا ثابتا للجمال وقريب تعبير صحيح عنه . وعلى أية حال فمهما اختلفت وجهات نظر حواء الجمال حول مقاييسه فإن هناك نوعا من الجمال لايمكن الاختلاف عليه . في أي مكان وزمان . هو جمال الروح